Issn:2572-0023

مجازر 8 ماي 1945 بمنطقة قالمة وبداية الطريق نحو نوفمبر 1954

أ/ السبتي بن شعبان
جامعة 8 ماي 1945 بقالمة

الملخص:

شكلت سياسة القمع الاستعماري للمسلمين الجزائريين خلال شهر ماي1945 وما بعده من عمليات اختطاف، ، قتل جماعي،محاكمات صورية، وعمليات إعدام بالجملة، وحشية استعمارية قل نظيرها في التاريخ ، بدأت ملامحها تتشكل منذ بداية الاحتلال ،وكان واضحا أن الهدف الاستراتيجي من جرائم " فرنسا الديمقراطية " ضد مدنيين عزل هو" : إبقاء الجزائر أرضا فرنسية"، وقطع مسار تطور متسارع للحركة الوطنية بدا منذ البيان الجزائري الصادر في شهر فيفري 194 ، وضمان الأمن للمستوطنين، غير ان هذا القمع الذي كان " اعمى ووحشي او بلا ضوابط" ،ترتبت عنه سلسلة متلاحقة من الأحداث التي مهدت الطريق في نهاية الأمر لاندلا ع الثورة التحريرية عام 1954.

The massacres of May 8 1945 Guelma district
Beginning of the road to November 1954

Abstract:

The colonial repression imposed on Algerian Muslims reached its peak of colonial barbarism in the me of May 1945 and after (collective assassinations, arrests and arbitrary judgments, collective massacres etc...). This repression is unsurpassed in the history of the contemporary world don the premises were already, at the beginning of colonization in 1830.

The strategic objective of the massacres of the civilians defenseless against France was clear: "maintain the Algeria a French land. So, is broken nationalist momentum of the national movement since the Algerian manifesto of February 1943, to ensure the safety of the settlers (peace for ten years) according to the expression of the general Duval who himself oversaw the operations of repression However, this "barbaric and without limits blind" repression, gave rise to a series of events that, in final, contributed to the outbreak of the war of liberation in 1954

مقدمة:

شهدت الجزائر أثناء الحرب العالمية أحداثا سياسية هامة اعتبرت نقطة تحول في مسار الحركة الوطنية الجزائرية، وأسهمت بشكل خاص في بلورة الوعي الوطني لدى الجماهير الشعبية بمختلف فئاتها، إن هذا التطور السريع لم يكن وليد الصدفة إنما ثمرة جهود كبيرة ونضال متواصل، ارتبط بنشاط الأحزاب السياسية والحركة الإصلاحية على مدى ما يزيد عن عقد من الزمن، عرفت خلاله الساحة الوطنية الكثير من الأحداث السياسية التي شكلت تقاربا بين قادة الحركة الوطنية والإصلاحية، ويصنف المؤتمر الإسلامي المنعقد سنة 1936م في خانة هذه الأحداث، التي تناولت بالدراسة مصير الجزائر كوطن وأمة وشعب يسعى إلى التحرر من ربقة الاستعمار.

وفي خضم الحراك السياسي الذي شهدته الجزائر حُلَّ نجم شمال إفريقيا وتأسس على أنقاضه حزب الشعب الجزائري PPA في 11 مارس 1937 كحزب ثوري يدع إلى الاستقلال، وكعادتها سارعت السلطات الاستعمارية إلى تشديد الخناق على الحزب ومناضليه بالاعتقال والسجن والحظر من النشاط إلى أن انتهى بها الأمر إلى حل الحزب فور اندلا ع الحرب العالمية الثانية والزج بقادته في غياهب السجون والمنفى، حيث حكم على مصالي الحاج بـ 16 حبسا، و20 سنة نفيا، كما اعتقل رجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ البشير الإبراهيمي [1]. وفي هذه الظروف، وجهت حركة النواب المسلمين نداء إلى الشعب الجزائري، تدعوه إلى مساندة فرنسا في الحرب [2].

المبحث الأول: الأوضاع العامة في منطقة قالمة قبيل انتفاضة ماي 1945

أولا: سياسيا : لا شك أن الوضع العام بقالمة وضواحيها، لا يختلف عن الوضع السياسي العام للجزائر، فمن خلال المصادر الحية والوثائق، يتضح أن منطقة قالمة كانت تشهد حيوية ونشاطا

(1) عبد الرحمان بن العقون: الكفاح القومي والسياسي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 223 ، 224.
(2)المصدر نفسه، ص 224.

من خلال تواجد خلايا سياسية لمعظم الأحزاب والجمعيات مثل: فيدرالية النواب، التي كان يترأسها الطبيب لخضاري، والخلايا السرية لحزب الشعب المنحل التي كانت تتبع إداريا للمكتب الجهوي بعنابة، كما كان لها مكتب بقالمة يتكون من: محمد الطاهر براهم: رئيسا ، عبد القادر بوتصفيرة: أمينا عاما ، إسماعيل عبدة: كاتبا عاما ، يزيد بن عيسى: نائبا للكاتب العام مكلفا بالتنظيم ، مبروك ورتسي: مكلفا بالمراقبة والدعاية ، مختار خلالفة: عضوا.

كما كانت بقالمة شعبة تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يرأسها عبد الله بوحفص أحد تلامذة عبد الحميد بن باديس، وكان للحزب الشيوعي أنصار قليلون، ومن أبرزهم حمة بعلي وعمار عباد، وهما من عمال مصلحة الطرقات، اللذين يبدو أنهما انضما إلى الحزب إما خوفا وإما مجاملة لمديرهم مسؤول خلية الحزب "كنتازارو Cantazzaro" [1]، وعلى العموم فإن عدد المنخرطين يتعدى الثلاثة عشر: ثلاثة منهم جزائريون. وكانت هذه الخلية مرتبطة بالكنفدرالية العامة للعمال الفرنسيين CGT والتي تضم هي الأخرى عددا قليلا من المنخرطين. وقد انتهت الحركة السياسية والإصلاحية بتأسيس حركة أصدقاء البيان والحرية AML في مارس 1944م، حيث شهد المولود الجديد إقبالا كبيرا من شباب المنطقة، الذين لم يبخلوا باشتراكاتهمرغم أنهم يجهلون الكثير من الأمور السياسية، ولا يحضر الاجتماعات منهم إلا القليل، والوثائق التي حجزتها شرطة العدو عند مداهمتها لمقرات الحركة، تؤكد مدى تغلغلها في الأوساط القالمية، وخاصة الشبانية منها، وعلى مدى التنظيم والسرية التي تحيط بهذا التنظيم، وبالمناضلين المشكلين لمختلف المكاتب على مستوى البلديات المكونة لدائرة قالمة [2]، وقد كانت هذا الأخيرة تضم تسع بلديات كاملة الصلاحيات وبلديتين مختلطتين، وكانت اللجان موزعة عليها جميعا، وكان المناضلون ينشطون في كل مكان لاسيما في المقاهي والأسواق وفي بعض الفنادق التي يلجأ

(1) إسماعيل سامعي : انتفاضة 08 ماي 1945م بقالمة ومناطقها، مديرية النشر بجامعة قالمة، 2004، ص 17.

(2) محمد بن عمارة، محادثة خاصة.

إليها الجزائريون الفارون من السلطة الاستعمارية على مستوى بلدياتهم، وبهذه الأماكن يقع الاتصال بالمناضلين والمواطنين حيث تبلغ تعليمات الحزب وأوامره وتنقل الأخبار ويعول في ذلك على الطاقات الشابة التي تتميز بالذكاء والعمل الدؤوب [1].

ثانيا: اقتصاديا

1-الزراعة: تعد قالمة منطقة فلاحية بامتياز حيث تتوفر على أراضٍ خصبة وتشمل على الخصوص حوض سيبوس الذي يمتد على طول مجرى الوادي إلى غاية مدينة بوشقوف شرقا، وحوض حمام بلحشاني الممتد بين عين مخلوف وعين العربي الذي يجري به وادي الشارف، وسهول وادي الزناتي المشهورة بإنتاج القمح الجيد (B.D.17)، كما توجد مساحات متقطعة على سفوح الجبال وبين التلال، تستغل في زراعة الحبوب وأشجار الزيتون، وبعض الخضر والفواكه، كما تربى الأبقار في حوضي قالمة وبوشقوف، وفي المناطق المجاورة تربى الأغنام والماعز نظرا لما تتوفر عليه الغابة من أعشاب [2].

بعد احتلال المدينة عام 1836 سارع المعمرون منذ الوهلة الأولى إلى السيطرة على الأراضي الخصبة، فأقاموا بها المزارع، وطردوا أصحابها إلى الجبال المجاورة، أو أبقوهم على أرضهم كأجراء أو خماسين [3]، ويذكر عيناد رضوان في كتابه 8 ماي 1945م في الجزائر، أن سنوات 1944 و1945م كانت صعبة، حيث شهدت المنطقة فترة جفاف وانتشار الجراد، فساءت المواسم الفلاحية، فضلا عن ظروف الحرب العالمية ومآسيها، الأمر الذي تسبب في نقص المواد الغذائية مم أدى إلى ارتفاع فاحش في أسعارها [4]، ويذكر بعض الشهود بأن قالمة لم تتأثر بنتائج

(1) نفسه.

(2) إسماعيل سامعي : انتفاضة 08 ماي 1945 ، مرجع سابق، ص 22.

(3) جيلالي صاري : قالمة في بداية الاحتلال 1836- 1866م، مجلة معالم، عدد 7، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، قالمة، 1997م، ص ص 38- 39.

(4) Redouane Aiad Tabet : 08 Mai 45 en Algérie, O.P.U, Alger, 1987, p 29.

الجفاف إلا قليلا، لأن نزول المطر عام 1945م أحيا الأرض وأنقذ المنطقة من المجاعة التي عرفتها مناطق أخرى، وفي هذه الأثناء شهدت منطقة الهضاب نزوحا سكانيا إلى قالمة، حيث وجدوا الترحاب من السكان الذين مدوا لهم يد المساعدة، وابعدوا عنهم المجاعة [1].

2- الصناعة والتجارة:

أ-الصناعة: تتوفر قالمة على ثروات طبيعية هامة نباتية ومعدنية مثل الفلين والأنتيموان والرخام والكولان، ولم تكن بقالمة وحدات صناعية، ما عدا معمل العجائن والسميد بهليوبوليس لصاحبه المعمر لافي Lavie، كما توجد معاصر للزيت وبعض المطاحن في أنحاء متفرقة من المنطقة [2].

ب-التجارة: أما التجارة فكانت تتوقف على ما تنتجه المنطقة من مواد فلاحية وحيوانية، أين تتم عملية التبادل على مستوى الأسواق الأسبوعية التي تعد متنفسا لسكان الأرياف، ومن بين هذه الأسواق: سوق قالمة الذي ينعقد يوم الثلاثاء، أما سوق وادي الزناتي فكان يوم الأحد، في حين كان سوق عين مخلوف كل يوم السبت من أيام الأسبوع، وسوق قونو يوم الأربعاء [3].

ثالثا: اجتماعيا: كان للظروف الاقتصادية من جهة وظروف الحرب من جهة أخرى تأثير مباشر على الوضع الاجتماعي، الذي شهد تدهورا خطيرا مس الحياة اليومية للسكان، فقلة المواد الغذائية، وتحكم المعمرين في السوق أدى إلى ارتفاع الأسعار وعجز السكان عن توفير قوتهم اليومي، وخضوعهم إلى برنامج خاص بتوزيع المواد الضرورية [4]، فقد وصل سعر 1 كلغ من الخبز عام 1945م إلى 8.55 فرنك و9.5 فرنك لـ 1 كلغ من الفرينة و36 فرنك للتر من الزيت و98.15 فرنك لـ 1 كلغ من اللحم، ولقد شهدت المواد الأساسية ارتفاعا محسوسا مقارنة بالسنوات الفارطة، حيث كان على سبيل المثال سعر الخبز سنة 1942م 3.70 فرنكا، وسعر

(1) إسماعيل سامعي: انتفاضة 08 ماي 1945، مرجع سابق، ص 22.

(2) شهادة السيد: بن عمارة محمد، أمين لجنة فرع أحباب البيان لبلدية بيتي (بومهرة أحمد).

(3) إسماعيل سامعي: انتفاضة 08 ماي 1945م بقالمة ومناطقها، مرجع سابق، ص 23.

(4) Redouane Aiad Tabet : 08 Mai 45 en Algérie, OP. CIT, p.p 30- 31.

الزيت 17 فرنكا أي تلك التي سبقت الحرب، كما سبق وأن ذكرت أثناء تعرضي للوضع الاقتصادي وبالمقارنة مع أقاليم أخرى تنتمي إلى الولاية نفسها (قسنطينة) أو مع مناطق أخرى من الجزائر عامة، فإن منطقة قالمة وضواحيها كانت أقل ضررا بدليل نزوح عدد كبير من سكان الهضاب وهوامش الصحراء إليها في صيف 1944 و1945م [1].

وفي المجال الصحي لم يكن بالمنطقة إلا مستشفى واحد بقالمة يقدم خدماته للمعمرين، ويفرض رقابة مشددة على المرضى الجزائريين، ويتضح ذلك من خلال التعليمة الصادرة عن والي قسنطينة تحت رقم 20702 المؤرخة في 1950/12/12م، التي يأمر فيها رؤساء المؤسسات الصحية بالولاية بعدم قبول المريض العطوي أحمد بن عيسى، الذي تردد كثيرا على مستشفيات الولاية (المقاطعة) بدون سبب حسب رأي الوالي [2]، ثم غن التحقيقات التي أجرتها البلديات المختلطة، حول الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية أفضت إلى نتائج كارثية، خصوصا ما يتعلق بمعيشة الناس، حيث تم تصنيفهم إلى خمسة أصناف، والملاحظ من هذه الدراسة أن نصف السكان يوصفون بالفقراء، ففي بلدية الصافية إحدى بلديات قالمة، بلغت نسبة الفقراء 55%، لا يتجاوز دخل الواحد منهم 2000 فرنك. أما من لم يتعد دخله 100 فرنك، فهم شديد والفقر، وأما الصنف المتوسط الذي يتقاضى مداخيل تتراوح بين ألفين و4 و5 آلاف فرنك فنسبته على التوالي 27% و17%، وأما الأسر الميسورة والغنية فنسبتها 13% و5% على التوالي أي بمجموع 18%، وبناء عليه، فإن نصف السكان يعاني من سوء المعيشة في غياب أو ندرة المواد الغذائية الضرورية، مما يدفع بالأهالي إلى تناول النباتات الطبيعية غير الصالحة للتغذية

(1) إسماعيل سامعي: انتفاضة 08 ماي 1945، مرجع سابق، ص 23.

(2) Recueil des actes administratifs du département de Constantine, Janvier 1951.

البشرية (نبات القريوة)، مما يتسبب في إحداث اختلالات فيزيولوجية، كالإمساك والاضطرابات الهضمية المختلفة، والإصابات التي تمس الجهاز التنفسي والبشرة [1].

المبحث الثاني: ظروف وأسبابإنتفاضة 8 ماي 1945

اختلف الباحثون في تحديد أسباب انتفاضة 8 ماي 1945 وحاول البعض منهم التركيز على إبراز سبب دون آخر، تبعا للمصادر التي استقيت منها المعلومات، وطريقة التفسير للأحداث التاريخية، التي عادة ما تكون مؤدلجة، وعليه، تختلف النظرة باختلاف المنظار الذي استخدمه الباحث في رؤيته للأحداث. وسأحاول أن أورد ما تناولته المصادر للوصول إلى تكوين صورة متكاملة للأسباب التي كانت وراء هذه المجازر كالآتي:

أولا: الظروف العامة:

أ- داخليا:

- هزيمة فرنسا واحتلال عاصمتها من طرف الألمان عام 1940م.
- الوعود الكاذبة التي سبق لحكومة فرنسا أن وعدت بها الجزائريين في حالة ما إذا وقفوا إلى جانبها وتجندوا في صفوف جيشها وخدموا مجهودها الحربي بالنفس والنفيس [2].
- الدعاية الألمانية وتدريب الجزائريين على ذلك [3]، والدعوة إلى عدم دخولهم في الحرب، وتمسكهم بالسلم، والاهتمام بالمستقبل الذي ينتظرهم، وقد صعدت إذاعة برلين وغيرها من لهجتها بعد سقوط فرنسا واحتلال عاصمتها باريس التي أعلن منها الألمان، بأن أصوات المسلمين في شمال إفريقيا التي طالما خنقتها فرنسا، سيكون في مقدورها منذ الآن أن تكون مسموعة من باريس عاصمة فرنسا نفسها [4]، وقد كان الجزائريون مشدودين إلى هذه الإذاعة وحراصًا على

(1) Mahfoud kaddache, Djilali Sari : L'Algérie dans l'histoire, op, cit, p 216.

(2) إسماعيل سامعي : انتفاضة 08 ماي 1945، مرجع سابق، ص 40.

(3) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، مصدر سابق، ص 173.

(4) المكان نفسه.

سماع برامجها الدعائية، التي أسهمت في إزكاء الروح الوطنية، وإيقاظ روح الثورة والتحرر في نفوس الشعوب العربية ومنها الشعب الجزائري.

– البيان الجزائري وما تضمنه من مطالب، كتكوين دولة جزائرية لها دستورها الخاص، وجمعية تأسيسية منتخبة من قبل الجزائريين.

– نشاط المناضلين وتنظيمهم للمظاهرات، حيث طالبوا فيها بإطلاق سراح المساجين السياسيين من جهة، والاحتفال بعيد العمال في أول ماي 1945م من جهة أخرى. ونجح الجزائريون بجميع تياراتهم في اتحادهم من خلال وحدة مطالبهم وانضوائهم في منظمة أصدقاء البيان والحرية في 1944/03/14 بحيث تجاوز عدد المنخرطين 500 ألف، وبلغ عددهم 4292 مناضلا بقالمة وهم منضوون في 12 فرعا [1]، ويعتبر هذا الإنجاز أول خطوة خطتها الحركة الوطنية في طريق الوحدة والاستقلال من خلال لائحة المطالب التي تضمنت استبدال الجمعيات الجزائرية ببرلمان منتخب، واستبدال الولاية العامة بحكومة جزائرية، والاعتراف بالألوان الوطنية، الأمر الذي زاد من هيجان الشعب الجزائري ومعه الكولون، وجعلهما على أهبة الاستعداد.

– إرادة حزب الشعب في تكذيب ادعاءات نفور الشعب من الحزب والتأكيد على تعلقه به [2].

– رغبة الإدارة الاستعمارية في حل تجمع أحباب البيان والحرية فور مظاهرات أول ماي 1945م [3].

– استعداد الجزائريين للاحتفال بيوم النصر فور انتهاء الحرب العالمية الثانية.

– إصلاحات ديغول التي تضمنتها أوامر 07 مارس 1944وما أثارته من غضب في صفوف الوطنيين والمعمرين على حد سواء مما زاد في بلورة الوعي السياسي.

(1) Annie Rey Goldzeiguer : Aux origines de la guerre d'Algérie 1940 – 1945, Casbah, éditions, Alger, 2002, p 286.

(2) Mahfoud kaddache, Djilali Sari : L'Algérie dans l'histoire, op, cit, p 86.

(3) إسماعيل سامعي: انتفاضة 08 ماي 1945، مرجع سابق، ص 43.

ب–خارجيا:

– صدور ميثاق الأمم المتحدة الذي نص على مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها.

– قيام الجامعة العربية في مارس 1945 شجع الجزائريين على المضي إلى الأمام في المطالبة بالاستقلال.

–انهزام النازية والفاشية وتحرير الشعوب في أوربا، زاد الجزائريين تحمسا وإصرار على تحقيق حريتهم واستقلالهم.

هذه الظروف، وغيرها مجتمعة داخليا وخارجيا دفعت الجزائريين بتشكيلاتهم السياسية والإصلاحية المختلفة إلى الاستجابة لنداء الحرية والاستقلال، رغم ما كان يحاك ضدهم في الخفاء من مؤامرات، راح ضحيتها عشرات الآلاف في الثامن ماي 1945 في مناطق متفرقة من الوطن، وخاصة في سطيف وقالمة وخراطة.

ثانيا: الأسباب والدوافع

أ– إقتصاديا:

هناك من يرى أن الضائقة الاقتصادية هي السبب الرئيسي لانتفاضة 8 ماي 1945م، فسنوات الجفاف التي عرفتها الجزائر أثناء الحرب العالمية الثانية، وندرة المواد الغذائية وارتفاع الأسعار، وانتشار المجاعة، هذا الوضع الصعب الذي أكدته حكومة الاستعمار في أحد تقاريرها، وهو ما يعطي أنصار هذا الرأي قوة التأييد لتفسيرهم أن الأسباب تعود إلى النقص في وسائل التغذية، وأن الحكومة عازمة على إرسال الغذاء إلى الجزائر [1]. وقد ذكر الكولونيل شون Colonel Choen في التقرير ذاته، أنه لم يسمع في تاريخ إفريقيا الشمالية بمظاهرات أو ثورات قامت بسبب الجوع [2]، غير أن اليساريين يؤكدون على الجانب المادي في تفسيرهم

(1) عبد الرحمن بن العقون: الكفاح القومي والسياسي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 355.

(2) المصدر نفسه، ص 355.

للأحداث، منطلقين من الأوضاع الاجتماعية المزرية التي عاشها الجزائريون نتيجة قلة مردود المواسم الفلاحية وذلك بسبب الجفاف الذي خرب الجزائر من جهة، وما أفرزته الحرب من جهة أخرى. وقد وصف أحد الأهالي من منطقة القبائل –في رسالة بعث بها غلى أحد أقاربه– نقص المواد الغذائية، وارتفاع الأسعار وما قد ينجم عنها من انفجار [1]. وتقول المؤرخة الألمانية قولد زيقر (Gold Zeiguer) أن المجاعة لم تكن في يوم ما سببا من أسباب الثورة في الجزائر، وعليه، فإن الأزمة الاقتصادية غير واردة منذ البداية لأسباب موضوعية، لأن الانتفاضة اندلعت في مناطق خصبة والمخازن مملوءة بالحبوب لما يسد الحاجة طيلة ستة أشهر [2].

ورغم التفسيرات الضاربة يبقى العامل الاقتصادي أحد العوامل المهمة التي تدفع بالشعوب إلى التعبير عن غضبها بوسائل مختلفة.

ب–دينيا:

ذهب بعض الباحثين خاصة الفرنسيية إلى تفسير الانتفاضة بحقد المسلمين على المسيحيين، وقد يكون ذلك ناتجا عن اضطهاد الدين الإسلامي ورجاله ومؤسساته من طرف الإدارة الاستعمارية، غير أن الواقع يبطل تفسيرهم هذا كون المنتفضين لم يتعرضوا للكنائس ولم يلحقوا بها أي سوء، ولم يعتدوا على رجالها، وإن كانت كلمة "الله أكبر" هي كلمة الفصل في الثورة على المحتل في مختلف مراحلها وأطوارها.

ج – الأسباب الخاصة بمنطقة قالمة:

لكل منطقة خصوصياتها تجعلها تختلف في بعض الجزئيات عن غيرها من المناطق الأخرى وعليه، يمكن حصر الأسباب والدوافع التي كانت وراء الأحداث التي وقعت في منطقة قالمة بصفة خاصة، كالآتي:

(1) نفسه، ص 356.

(2) Annie Rey Goldzeiguer : Aux origines de la guerre d'Algérie, OP. CIT, p 293.

-الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المزرية التي عاشها سكان منطقة قالمة خلال الحرب العالمية الثانية وما أنجز عنها من بؤس وحرمان، حيث يذكر أحد الشهود بأن الكثير من الناس لم يجدوا ما يقتاتون به سوى جذور بعض النباتات (القريوة مثلا) [1].

-الوعي والحس الوطنيان، اللذان انتشرا في أوساط المجتمع القالمي من خلال الإقبال الكبير على الانخراط في صفوف حركة أصدقاء البيان والحرية، التي تأسست له فروع على مستوى مختلف البلديات والمداشر.

-حقد معمري المنطقة على اختلاف جنسياتهم من فرنسيين وأسبان ومالطيين على الأهالي من جهة، وخوفهم على فقدان امتيازاتهم من أراض وغيرها من جهة أخرى، ولذلك كان رد فعلهم عنيفا جدا.

-استفزاز السلطات الاستعمارية للأهالي أثناء المسيرة، ونعتهم بنعوت لا تليق بآدميتهم [2].

-استعداد الجيش الفرنسي، وقيامه بمراقبة تحركات الجزائريين ففي وادي الزناتي أرسلت فرق اللفيف الأجنبي وبعض الطائرات لرصد تحركات المواطنين أثناء المسيرة [3]، كما أعيدت فرق عسكرية من تونس لمهاجمة قالمة.

-فرار بعض الجنود الجزائريين بأسلحتهم من الجيش الفرنسي منذ 1942م ومحاكمتهم عام 1944 [4]، وهم: حزام صالح والهامل وكبلوتي.

-تعاطف أهالي قالمة مع المظليين الألمان في منطقة ماونة وهوارة [5]، والذين ألقي عليهم القبض من طرف حراس الغابات وكتيبة الجندرمة، وكان السكان يزودونهم بالمواد الغذائية ويقيمون عليهم

(1) محادثة شخصية مع السيد: السعيد بن شعبان، المولود في 1926م، ببلدية بيتي (بومهرة أحمد)، متقاعد، يوم 2007/10/08.

(2) سماعيل سامعي: انتفاضة 08 ماي 1945م بقالمة ومناطقها، مرجع سابق، ص 56.

(3) عبد الرحمن بن العقون: الكفاح القومي والسياسي، ج2، مصدر سابق، ص 327.

(4) إسماعيل سامعي: انتفاضة 08 ماي 1945، مرجع سابق، ص 56.

(5) محمد بن عمارة، محادثة خاصة.

الحراسة، وهو ما أثار حفيظة الفرنسيين الذين أخذوا تدابير خاصة لمنع الجزائريين من القيام بمثل هذا السلوك وتجنب مخاطره المحتملة.

المبحث الثالث: سير أحداث الانتفاضة في منطقة قالمة ووقائعها:

أولا: أحداث الانتفاضة في مدينة قالمة:

أقامت السلطات الاستعمارية احتفالا بمناسبة يوم النصر [1]،بحضور سكان المدينة والسلطات السياسية والعسكرية وأعيان المدينة على رأسها رئيس الدائرة أندري أشياري (André achiary) رفقة رئيس البلدية ورئيس لجنة فرنسا المكافحة قارفي (Garrivet) وبعض الجزائريين منهم دواورية عمار الذي كان يحمل العلم الفرنسي، ودهال لخضر عض وبلدي والشيخ الفزاني [2]، شيخ الزاوية العمارية (زاوية الحاج مبارك) ويقول [3]الساسي بن حملة عن حضور الأهالي: "لقد تلقيت أنا والأخ المناضل إسماعيل بلعزوق امرأ من المسؤول شابيي، بالالتحاق بساحة القديس أوغسطين في حدود الساعة الثالثة مساء لدعوة الجمهور الجزائري إلى التحول باتجاه باب السوق والكرمات، حيث يقام احتفال العرب بالهدنة، وفي حدود الساعة الرابعة تحركت المسيرة عبر شوارع المدينة، يتقدمها شبان مناضلون يحملون اللافتات والأعلام الوطنية، وأعلام الخلفاء إلى جانب علم فرنسا وهم ينشدون، "من جبالنا"، "فداء الجزائر روحي ومالي"، وما إن بلغت المسيرة شارع 8 ماي حاليا –ما بين مقهى فرنسا وبنك القرض الليوني– حتى اعترضها رئيس الدائرة أشياري (Achiary) رفقة رئيس البلدية موبار (Maubert) ومحافظ الشرطة طوكار (Tocouard)، وطلب بإيقاف المسيرة، وجرى بينه وبين المناضل ورتسي مبروك حوار، حيث قال له أشياري: ماذا تفعلون؟ فأجابه مبروك ورتسي، نحن نشارككم احتفالكم، لأن أبناءنا اختلطت دماؤهم بدماء أبناءكم في مقومة الزحف الألماني على وطنكم

(1) هو انتصار الحلفاء على النازية سنة 1945م.

(2)إبراهيم بهلول: شهادة تاريخية، انتفاضة 8 ماي 1945م باقلمة، مطبعة محافظة جبهة التحرير الوطني، قالمة، 1985/05/01م، ص 190.

(3) الساسي بن حملة: حوار، جريدة الخبر اليومية، العدد رقم 5475، الجزائر، 2007، ص 18.

فرنسا [1]، ثم التفت إلى المشاركين في المسيرة وأشار إلى الأمام، وهذا تقدم فوكو (Fouqueux) رئيس لجنة الكفاح من اشياري (Achiary) وسأله هل فرنسا موجودة أم لا؟ فأجابه نعم فرنسا موجودة وإلى الأبد فقال له السائل فلم نلاطف هؤلاء إذا؟ أطلق عليهم النار [2].

وكان رئيس الدائرة قد تلقى امرا من عامل العمالة ليستراد كاربونال [3](Lestrade Carbonnel) يقضي بإطلاق النار في حال تكرر مسيرة أو ماي [4]، وهنا توترت الأعصاب فأطلق أغياري النار على المتظاهرين، وكان ذلك إيذانا ببداية المجزرة التي شارك فيها السكان الأوروبيون من مختلف الأعراق والجنسيات، حيث تم إطلاق النار من النوافذ والأبواب، مما أدى إلى تفرق المتظاهرون، وسقط نتيجة لذلك عدد كبير بين قتيل وجريح، وحتى المرأة لم تسلم من آلة القتل فمن بين اللواتي استشهدن: الآنسة أوصيف ومليكة بوزيت والزهرة رقي، التي اغتيلت رفقة أخويها محمد وعبد الحفيظ [5]، ونفيسة قاسمي التي اغتيلت هي الأخرى، وهي حامل في شهرها السادس مع زوجها وابنها إبراهيم البالغ من العمر اثني عشر عاما.

وحتى الذين خدموا فرنسا وحاربوا في صفوفها لم يسلموا من القتل، فالسيد صالح طوبال من قدماء المحاربين ارتدى زيه العسكري وعلق النياشين وتقدم من الدرك يتوسل إليهم بالكف عن قتل المواطنين الذين ضحى آباؤهم وإخوانهم في سبيل فرنسا خلال الحربين العالمتين الأولى

(1) محمد علواش: شهادة تاريخية، انتفاضة 8 ماي 1945م، مرجع سابق، ص 228.

(2) إسماعيل سامعي: قالمة عبر التاريخ وانتفاضة 08 ماي 1945م دار البعث، قسنطينة، 1983م، ص 97.

(3) أندري ليستراد كاربونال (André Lestrade Carbonnel): ولد بالجزائر في 15 جويلية 1883م، درس الشريعة الإسلامية، درس في التعليم العام ما بين 1908- 1909م، ثم عين مساعد متصرف إداري بالبلدية المختلطة، انتدب بالحكومة العامة ثم عين عام 1919م، رئيسا للديوان بعمالة قسنطينة، ليجد نفسه عام 1926م متصرف إداريا، ثم نائب عمالة تلمسان سنة 1938م، ثم واليا على عمالة قسنطينة في 6 جوان 1944م، شارك إلى جانب الجنرال ديفال (Duval) في قمع الأهالي وقتلهم في احداث الثامن ماي 1945م، ينظر: Service historique de l'armée de terre : "la guerre d'Algérie par les documents 1943-1946", T1, 1990, p 508

(4) أحمد الحامي: شهادة تاريخية، انتفاضة 8 ماي 1945م، مرجع سابق، ص 199.

(5) Amer oumalou : le muguet ensanglante le 8 mai 1945 à Guelma et sa région, édition Guelma information, Guelma, l 32

والثانية، وبعد ذلك إساءة لسمعة فرنسا وهبتها، فاغتيل بدم بارد هو الآخر ولم تشفع له خدماته ولا نصائحه [1].

سلح أشياري الميليشيا [2]المشكلة من 280 فردا من العائلات التي تنتمي إلى الحزب الشيوعي الجزائري، وكذا المعمرين، وكانت عملية الاغتيال تتم انطلاقا من حركة أحباب البيان والحرية، والقوائم المدرسية،
والانخراط في النقابات [3].

ويذكر بوكحول أحمد المدعو "الفرجيوي" بأن عملية القتل كانت تتم بناء على قوائم التغذية الموجودة على مستوى مكاتب حركة أحباب البيان، كما استخدمت قوائم التلاميذ في عملية التصفية [4](زاوية الحاج مبارك).

ويذكر أحمد توفيق المدني فضاعة الأحداث بقوله [5]: "**في طريقي إلى تونس توقف بنا القطار في محطة قالمة نحو ساعتين رأيت طائرات حربية صغيرة الحجم تطلق قنابلها المحرقة على طول الأفق وكنت أرى ألسنة اللهب تتصاعد إثر كل قنبلة وكنت أسمع من بعيد أصوات الاستغاثة والبكاء والنحيب وهناك أعداد غفيرة تغدو وتروح باحثة عن مكان آمن فلم تجد إلا بنادق القناصة، لقد كانت مذبحة رهيبة، فضيعة**...". وفي 14 ماي قامت ثمانية عشرة طائرة بقصف قالمة وسوق أهراس بمائة وخمسين قنبلة تزن الواحدة ما بين 50 و100 كلغ [6].

(1) الساسي بن جملة: حوار، جريدة الخبر، مرجع سابق، ص 18.

(2)نفسه ، ص 18

(3) Mohamed Harbi, Benjamin Stora : la guerre d'Algérie 1954- 1962, édition chiheb, Alger, 2004, p 108.

(4) Redouane Aiad Tabet : 8 Mai 1945, op, cit, p 210.

(5) أحمد توفيق المدني: حياة كفاح 1925- 1954، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 381.

(6)علي تابليت: من جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر، مذابح 8 ماي 1945، مجلة الذاكرة، العدد 2، ص 66.

ثانيا: أحداث الانتفاضة في وادي الزناتي

انطلقت المسيرة في وادي الزناتي حسب اتفاق رئيس البلدية وأعضاء اللجنة المشرفة على تنظيمها، وقبل انطلاقها عُقِدَ اجتماع للمشاركين برحبة الحيوانات في حدود الساعة التاسعة صباحا، وقد كان الهدف منه توضيح الغرض من هذه المسيرة، وهذا ما قاله المولود مهري إمام الجامع، وأحد أعضاء اللجنة، ردًّا على الإشاعات التي تروج بأن الأهالي كان بحوزتهم أسلحة، وهم عازمون على الفتك بالكولون [1]: "**إن الإخوة الذين قدموا من ضواحي البلدة إنما قصدهم المشاركة في الاحتفال بعيد النصر، وبرجوع أولادهم وأقربائهم من الواجهات الحربية لأنهم في شوق كبير إليهم**".

وكانت هذه المشاركة في المسيرة قصد المشاركة في نهاية الحرب والتذكير بوعود الحلفاء للشعوب في تقرير مصيرها، فقد انضم المشاركون في صفوف عند محطة القطار، وكان يبلغ عددهم حسب عبد الرحمان بن العقون حوالي 20 ألف ونائب عامل العمالة بـ 30 ألف أما آخرون فقد قدرهم بـ 5000 مشارك.

فقد انطلقت المسيرة على الساعة الثالثة مساء تجاه دار البلدية وفي مقدمتهم عبد الحميد مهري، عمار شطيبي [2] إضافة إلى رئيس البلدية الفرنسي، كانوا يحملون أعلام ولافتات وأطلقوا أناشيد "من جبالنا"، وقد كانت قوات العدو تحاصرهم قصد إطلاق النار إذا اشتموا حركة غير عادية فقام المسؤولون بطمأنتهم، وسارت المظاهرات نحو جامع المدينة بعد توقفها في ساحة الجندي المجهول أو نصب الأموات، وبعدها رجع المتظاهرون إلى بيوتهم في جو سلمي لكن في طريقهم صادفتهم تعسفات من طرف الجندرمة الاستعماريين، وكان هذا عكس ذلك ونرى بأن هذا الفعل المشين يعتبر مؤامرة دبرت من قبل، ووصل وقت تنفيذها بذريعة نشر إشاعات كاذبة

(1)إسماعيل سامعي: انتفاضة 8 ماي 1945 بقالمة ومناطقها، مرجع سابق، ص 73.

(2) المولود مهري: شهادة تاريخية، انتفاضة 8 ماي 1945 بقالمة، مرجع سابق، ص 21.

بأن الثوار سيقضون عليهم، فتطورت الأحداث وقرر الكولون ورجال الغدارة القيام بمجزرة في حق الأبرياء، والقي القبض على عدد من المناضلين وقررت سلطات العدو بتهديم الأحياء العربية بواسطة المدفعية وأمروا بنقل السكان الأوربيين إلى ثكنة الجندرمة، وحضر إلى المدينة عامل عمالة قسنطينة Lestrade Carbonnel، يكيل الشتم والسب لعدد من المعتقلين [1]، ويذكر المولود المهدي ابن الشيخ محمد المصطفى بن باديس ولد الإمام كان بوادي الزناتي يومها، فاتصل بمدير الشركة الجزائرية الفلاحية Lacie Algérienne، "جاكي ادام" وبمساعدة الدكتور عمر بن جبليس ورئيس البلدية "أنطوان فسطاسيولي" (Antoine Festasioli) تدخل لدى العامل Carbonnel الذي طلب منه مقابلة خاصة وقيل بأن المدير لما اجتمع معه وجه له السؤال: هل فرنسا عازمة على الخروج من الجزائر نهائيا؟ فإذا كان هذا فلا يكفي قتل بعض الأشخاص أو هدم حي وإحياء، بل يجب أن نقتل ونهدم ما استطعنا، فأجابه العامل: بالعكس إننا نعمل على الاحتفاظ بالجزائر مهما كان الأمر، فلذا نحن نريد بهذا القمع المتناهي أن نخمد كل حركة انتفاضية وذلك بإخماد أنفاس المسيريين للحركة الوطنية وإرهاب البقية حتى تركن للخضوع للسلطة، فأجابه المدير بقوله [2]: "إذن فلتسمحوا لي سيدي العامل أن نصرح بفكرتي، وأعتقد أنكم ستأخذون على محمل الجد... إن هذه التصرفات أراها غير حكيمة وستكون أكثر دفعا للوعي الوطني وستجعل المعتدل متطرفا بل ستكون عود ثقاب للثورة العامة"، وبهذا تكون فكرة هذا المدير سببا في إخماد ثورة ليستراد كاربونال (Listrade Carbonnel)، غير أن هذا الأخير ورغم تقبله الفكرة فقد أمر باتخاذ أقسى درجات الحيطة والحذر حفاظا على الأمن العام.

(1)عبد الرحمان بن العقون: الكفاح القومي والسياسي، ج2، مصدر سابق، ص 330.
(2)نفسه ، ص 331.

ثالثا: الأحداث في حواضر وأرياف قالمة

أ-بلدية بيتي Petit (بومهرة أحمد حاليا):

بدأت التحضيرات للمظاهرة أو المسيرة السلمية ببلدية بيتي Petit (بومهرة أحمد) بجمع التبرعات وقيام تجمعات لإطلاع سكان البلدية على سياسة الغدارة الاستعمارية، وانطلقت العملية في صبيحة يوم 9 ماي 1945م من طرف مواطني جبل هوارة، متجهين بذلك إلى بلدية Petit وعند وصولهم إلى جسر سيقان قمز كزاوية، علم الكولون بهم واراد توقيفهم فمات إثنان من المعمرين "Antoine gauci" وابن "Vela Victor"، وبعدها تقدم المواطنين وعملوا على تخريب منزل رئيس البلدية "Julia" وضيعته، وفي الساعة الخامسة مساء، حوصرت البلدية وقام المواطنون بمهاجمة المعمرين هناك، وكان رد فعل المعمرين عنيفا جدا، حيث قاموا بقتل 12 شابا جزائريا أمام منزل ابن "Vela"، كما اشتبك المهاجمون من جهة الجنوب مع رئيس البلدية "Julia"، غير أن المواطنين لم يستطيعوا الصمود نظرا للمساعدات التي كان يقدمها الجيش الفرنسي أثناء المهاجمات، وألقي القبض على عدد كبير من المواطنين وتم اعتقالهم ثم إعدامهم بدون محاكمة، ومن بين القتلى نذكر على سبيل المثال رابح بوصوفة، السبتي غربي، صالح عمري، إبراهيم عجابي، وأحمد بوصوفة... وغيرهم [1].

ب-بلدية ميليزيمو mellezimo (بلخير حاليا):

كانت بلدية mellezimo كمثيلاتها في المواجهات التي قام بها المواطنون ضد العدو فقد شارك معظم سكانها في مسيرة 8 ماي 45 بقالمة، وفي اليوم التاسع 09 ماي 1945 وفي حدود الساعة الثانية والنصف بعد الظهر، تجمع أكثر من 1000 مواطن في منطقة "سيبوس" ويمكن أن يكون هذا التجمع هو نفسه تجمع سكان منطقة هوارة في جسر سيقان

(1) إسماعيل سامعي: انتفاضة 8 ماي 1945 بقالمة ومناطقها، مرجع سابق، ص 112- 113.

بيتي (Petit)[1]، فعملوا على مهاجمة المعمرين وإدخال الرعب في نفوسهم وتذكيرهم بعدم شرعية وجودهم، وأثناء الهجومات التي قامت بين الطرفين، قُتل معمر في جهة الجنوب بوادي زينبة، ويذكر أن الهجومات استمرت ثلاثة أيام متتالية. وبعدها قام العدو باعتقالات واسعة النطاق في صفوف المواطنين، وحرق وقتل جيشه وقصفت طائراته المشاتي كمشتة المقرون واللافية ومطاوعة وحجر الجير والرمل والحفايص، ومن الذين قتلوا[2]: حمدي بومعزة، عيسى مقراني، وإبراهيم بن الشريف حزام، والحاج بومعزة، العربي مجالدي، السعيد بن علي غزلاني، ومحمد بن مبروك عبداوي، وعلي درار ورابح عمروشي وغيرهم.

أ- بلدية لابان Lapaine (الخزارة حاليا):

قام الثوار بمهاجمة المستعمرين ببلدية لابان، حيث تذكر بعض الشهادات أن أطفال تتراوح أعمارهم بين 12 إلى 16 سنة قاموا بتمزيق العلم الفرنسي [3]وبهذه المشادات والمداهمات التي قامت بين الثوار والعدو فقد صب العدو غضبه على المواطنين بالقمع العسكري الوحشي، حيث اشتركت كل القوات الفرنسية ودمرت عددا من المشاتي وأحرقت وقتلت أعداد كبيرة من المواطنين نذر على سبيل المثال [4]: عمار شماخي، السعيد قبايلي، محمد بن كامل وزايمية، حسين بن يخلف، عمر بن يخلف، حسين فيصلي، بلقاسم سلمي، السعيد قرفاع، مسعود بودور، أحمد بن شهيدة ومحمود بوصيود، محمد نحينح، والكامل عميروش وأحمد نايلي.

ونلاحظ أن بهذه المنطقة تعدى القتل فيها الرجال إلى النساء، فالعدو هنا لم يفرق بين الكبار والصغار، وبين الرجال والنساء، وهذا يعد دليلا كبيرا على فظاعة المجزرة وبشاعتها، وعلى

(1)نفسه، ص 124.

(2) محافظة قالمة: انتفاضة 8 ماي 1945 بقالمة، مرجع سابق، ص 142.

(3) إسماعيل سامعي: انتفاضة 8 ماي 1945 بقالمة ومناطقها، مرجع سابق، ص 106.

(4) محافظة قالمة: انتفاضة 8 ماي 1945 بقالمة ، مرجع سابق، ص 145.

المؤامرة التي خيطت بإحكام وتدبير مسبق، وعلى روح الانتقام التي تمكنت من نفوس هؤلاء المعمرين قعوا في عقر دارهم عندما داهمهم الألمان واحتلوا عاصمتهم باريس [1].

ب- بلدية هليوبوليس:

لم يتأخر سكانها عن ركب الانتفاضة، بعد الأحداث التي جرت بقالمة عشية 8 ماي 1945فأخذ سكان المنطقة احتياطاتهم، ولجؤوا إلى مطحنة Lavie للاحتماء بها، وفي اليوم التاسع من ماي 1945م، وتحديدا على الساعة الثانية مساءً، حوالي مائتي 200 شخص جاؤوا من كل النواحي الريفية للوقوف في وجه العدو وتجمعوا عند المقبرة الإسلامية من الجهة الغربية، حاملين الأسلحة ووسائل البنزين لاستخدامها في إحراق بعض مؤسسات العدو، ولم تقف أو تنتهي هاته المواجهات إلا بعد تدخل طائرات العدو، وفي نفس العشية دعا العدو غلى عقد اجتماع عام أمام كنيسة القرية، حضره سكان القرية وذلك بحجة طمأنتهم، لكنه عمل على محاصرتهم واعتقل أكثر من 26 مواطن نذكر منهم: السبتي كحل الراس، خالد عي وعبد الله عيساوي، واستعملوا معهم العنف [2]، وقد استمرت هاته المشاحنات والمداهمات إلى جانب القمع العسكري الوحشي أكثر من 11 يوما ونذكر على سبيل المثال عدد من الذين قتلوا آنذاك أو استشهدوا بهذه القرية: أحمد بوعرعور، الطيب بولحفة، الشريف عبداوي، عمارة بن عبده، أحمد زمولي، عبد الحميد جمعاوي، رابح علواش وحميد بوحظيش، وقد أعدموا بكاف البومبة، ومنهم من أُعدم بضيعة Lavieمثل: مسعود بشكر، ومسعود بودودة، وبجسر قراف أعدم كل من رابح سوكري، ودربال، وبمدخل قالمة قتل أحسن طاغوثي، وخليفة قروي [3].

(1) فرحات عباس: ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص 190.

(2) إسماعيل سامعي: انتفاضة 8 ماي 1945م، مرجع سابق، ص 197.

(3) محافظة جبهة التحرير: انتفاضة 8 ماي 1945م، مرجع سابق، ص ص 126- 128.

ت– دوار بني مزلين:

يذكر بعض الشهود انه بعد عودة المشاركين في المسيرة، وبعد الإشاعة التي تفيد بأن المعمرين حاصروا مدينة قالمة وقتلوا كثيرا من الأهالي، ففزع جمع غفير من أبناء المنطقة وتوجهوا صوب مدينة قالمة يحملون العصي والسكاكين، وبنادق الصيد بالقرب من بلدية ميليزيمو في المكان المعروف بالريحان، انضم عدد آخر إلى المهاجمين وبقي الجميع ينتظر السلاح من الحكومة الجزائرية التي قيل أنها أنشئت في الجزائر العاصمة، غير أن هذه الأكذوبة قد أوقعت بالأهالي الذين تفاجؤوا بقوة عسكرية كبيرة برية وجوية تداهمهم [1]، عندها أحس الجميع بالخطر وتفرقوا، وقد طلب منهم القايد تسليم السلاح بهدف الحد من غضب المواطنين، وإفشال ثورتهم، وإلقاء القبض على المواطنين ولاسيما مناضلو الحركة الوطنية، المنخرطون في حركة أصدقاء البيان والحرية الذين أعدموا أمام أعين قايد دوار بخلفية المشاركة في مسيرة الثامن ماي بقالمة.

ث– بلدية قلياني Gallien (بواعتي محمود حاليا):

في الثامن من ماي 1945م، وبمناسبة الاحتفال بيوم النصر ولانتهاء من الحرب العالمية الثانية، أقامت السلطات المحلية، ومعمرو البلدية حفلا دعت إليه الكولون والجزائريون على حد سواء، وأقيمت لهم مأدبة غداء لم يحضرها الجزائريين سوى القايد قناط [2].

ج– بلدية كيلرمان Kellerman (الفجوج حاليا)

عبر الأهالي عن غضبهم وتذمرهم بالامتناع عن العمل عند الكولون، وتحطيم قنوات المياه وقطع أعمدة الهاتف وإقامة الحواجز على الطريق المؤدي إلى القرية، ثم نظموا هجوما عليها وعلى المزارع الواقعة في محيطها، وتمكنوا من قتل المعمر باتيست فالنسي (batiste valensi) بينما فر بقية المعمرين نحو قالمة، وإثر هذا الهجوم كان رد فعل العدو سريعا، حيث قامت

(1) نفسه، ص 137.

(2) إسماعيل سامعي: انتفاضة 8 ماي 1945 بقالمة ومناطقها، مرجع سابق، ص 116.

القوات البرية والجوية بمهاجمة المنطقة، فهرب الأهالي إلى الجبال المجاورة للاحتماء بها [1]، وألقى العدو القبض على العديد منهم، وقام بتعذيبهم وأعدم البعض منهم ودفنهم في مقبرة جماعية بكاف البومبة [2].

ح- بلدية قونو gounood (عين العربي حاليا):

كانت المظاهرة في بلدية عين العربي في الحقيقة عبارة عن هجوم أو ثورة أو إعلانا للجهاد، وذلك بسبب عدم فهم الأوامر التي أعطيت للسكان، لاسيما سكان الارياف، فقد شملت هاته المظاهرة كل الفئات أتت من كل حدب وصوب، حاملين أسلحة متنوعة، أغلبها أسلحة بيضاء وقليل من بنادق الصيد، وقاموا بتطويق القرية الشيء الذي جعل المعمرين يفرون إلى ثكنة الجندرمة (الدرك)، للاحتماء بها وقد حاول المستعمر صد هاته الجموع لكن أبت كل محاولاته بالفشل، وحرص المشاركون على استمرار المسيرة، وبالتالي انتهت المسيرة بسلام وعاد المتظاهرون إلى منازلهم دون حادث يذكر ولكن بعدها قام العدو بغدر السكان وذلك بإرسال فيلق عسكري قوامه 500 عسكري يضم عددا من جنود الطابور المغربي قاموا بتخريب الثروات، والممتلكات فأحرق ما يزيد عن 200 مسكن وتشريد حوالي 300 عائلة، ضف إلى ذلك قنبلة بعض المشاتي مثل مشتة المقرون، وبعدها قامت قوات العدو بحملة من الاعتقالات في صفوف المشاركين في المسيرة إذ بلغت 5000 مواطن، ونقل بعضهم إلى نادي باب سكيكدة شمال غرب مدينة قالمة وأعدم العدد الآخر بكاف البومبة نذكر منهم على سبيل المثال: عبد الله بن الساسي غزالي، محفوظ بن العياشي تريني، التركي بن عبد الله رمضاني، والطاهر بن كحيلة وصابر بن علي قرفي وغيرهم من الشهداء [3].

(1) نفسه ص 116.

(2) مكان يتم فيه إعدام المواطنين ودفنهم، ويقع عند مدخل بلدية هيليوبوليس عند الجهة الجنوبية.

(3) إسماعيل سامعي: انتفاضة 8 ماي 1945 بقالمة ومناطقها، مرجع سابق، ص 107- 108.

خ- بلدية فيلار Villars (وادي الشحم حاليا):

>بدأت الانتفاضة في بلدية فيلار يوم 10 من ماي 1945م، حيث هاجم المشاركون القرية بطريقة تلقائية وعشوائية حاملين الأسلحة المتمثلة في بنادق الصيد وبدأ تبادل الهجوم من الطرفين إلى أن توقف فجأة من طرف المهاجمين وذلك يعود لسببين أساسهما: انعدام التنظيم، حيث جاء الهجوم تلقائي وفوري وكذلك الإشاعة التي فبركها العدو وبثها بواسطة عملائه من بين المهاجمين ليؤخر وصولهم وتخويفهم بأن أسلحة سوف تصلهم من طرف الأمريكان ولكن ريثما بدأ العدو بإطلاق النار في كل اتجاه انفضت المظاهرة وتراجع المتظاهرون وفر البعض منهم وقتل البعض كما أحرقت بعض المحلات التجارية وتم تخريب ممتلكات الشعب.

د- بلدية قلعة بوصبع:

قام الفرنسيون باعتقال مجموعة من المناضلين وذلك يوم 10 ماي 1945م بعد مشاركتهم في >مسيرة قالمة يوم 8 ماي وحولوا إلى المعتقل المقام بالنادي بمدينة قالمة، فعذبوا ثم قتلوا، كما قامت الطائرات بقنبلة المشاتي خاصة مشاتي جبل هوارة القريب من القرية [1].

ذ- كلوزالClouzel عين احساينية (هواري بومدين حاليا):

تذكر المصادر الحية أنه في يوم 9 ماي 1945امتنع سكان المنطقة عن العمل لدى الكولون وفي يوم الخميس 10 ماي بادر رئيس البلدية الفرنسي إلى عقد اجتماع حضره عدد من الكولون والميليشيا، دعا فيه سكان القرية والجهة سيما الأوربيين إلى التزام الهدوء والرجوع إلى منازلهم بعدها قام المنتفضون بقطع خطوط الهاتف المار بالمنطقة. لماذا كانت قالمة وسطيف مسرحا للأحداث؟يقول فرحات عباس، بأن التركيز على سطيف يعود لكونها كانت مهدا لبيان فيفري 1943م، ولميلاد حركة أحباب البيان والحرية، هذا هو تفسير فرحات عباس، غير أنه لم يكن له عباس دور في هذه الإحداث وليست له ولأنصاره أية صلة بها لأن فرحات عباس والدكتور

(1) الشرطة الاستعمارية الفرنسية: تقرير الاستعلامات المحلية، 1945م، ص9.

سعدان كانا في صباح ذلك اليوم في قائمة الانتظار بالولاية العامة في الجزائر العاصمة ينتظران الإذن من الحاكم العام إيف شاطينيو [1](Yves chataigneau) وتهنئة أنصار فرنسا والحلفاء في الحرب، وعندما وصلت أخبار الحوادث اقتيد عباس وصديقه إلى السجن إلى أن أطلق سراحه في 16 مارس 1946م بعد أن صوت المجلس التأسيسي الفرنسي على قانون العفو [2].

المبحث الرابع: نتائج الانتفاضة وآثارها

أولا: أجتماعيا وإقتصاديا:

عبرت النتائج الأليمة لمجازر 8 ماي 1945م بصدق عن وحشية الاستعمار تجاه كل ما هو جزائري، وقد مست على وجه الخصوص وبصفة مباشرة الأرواح والأقوات، ومنها:

-قتل الآلاف من أبناء المنطقة، حيث يقدر الساسي بن حملة عددهم بنحو 12 ألفا، وعند سماع المعمرين بقدوم لجنة التحقيق التي يرأسها الجنرال بول تيبار (Paul tubert) قاموا بإخراج الجثث من قبورها وحرقها في أفران الجير بمزرعة لافي (Lavie) [3]حتى لا يتم كشف المجازر المرتكبة من طرف رئيس دائرة قالمة أندري أشياري (André Achiary) [4].

-مصادرة أملاك الجزائريين من أراضي وغيرها بتواطؤ من الغدارة الاستعمارية، حيث يذكر عبد

(1) إيف شاتنيو (chataigneau Yves): ولد بفيلا، من أسرة فلاحية، حاصل على شهادة ليسانس في التاريخ والجغرافيا، وليسانس في الحقوق، شارك في الحرب العالمية الأولى، ثم أصبح أستاذا بجامعة بلغراد عام 1919م، تقلد عدة مسؤوليات مدنية وعسكرية، حيث عين في 23 أكتوبر 1940م وزيرا لفرنسا بكابول –أفغانستان ثم عين حاكما عاما للجزائر في سبتمبر 1944م، ناضل من أجل جزائر خالية من العنصرية، كما عين سفيرا لفرنسا بموسكو ما بين 1948- 1952م، وأخيرا تقاعد عام 1958م، ينظر: service historique de l'armée de terre : la guerre d'Algérie par documents 1943- 1946, T1, 1990, p 507.

(2) يحي عزيز الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نصوصه 1912- 1948م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م، ص 101.

(3) رئيس بلدية هيليوبوليس، وهو من كبار المعمرين في المنطقة.

(4) Marcel Raggui : les massacres de Guelma, Algérie Mai 1945, édition la découverte, paris, 2008, p 17.

الرحمان بن العقون أن مدير الشركة الجزائرية (Compagnie Algérienne) بواد الزناتي "جاكي آدام"، كان تحت تصرفه نحو مئة ألف هكتار [1].

- طرد الأهالي من وظائفهم كما حصل مع أحد حراس الغابات ببلدية الصافية.
- تجريد الأهالي من أسلحتهم حيث تم حجز 1052 بندقية صيد و150 مسدسا [2].

ثانيا: سياسيا:

كان لحوادث 8 ماي 1945م نتائج ذات أثر مزدوج سلبي وإيجابي، أما الأثر السلبي فيشمل الخسائر البشرية والمادية التي مست الأنفس والممتلكات بشكل فظيع في مدة زمنية قصيرة جدا، بينما الأثر الإيجابي فهو يتعلق بالوعي والثقة بالنفس واستخلاص الدرس والعبرة مما حدث، وأن الحل لا يكون بالسياسة لأن ما أخذته فرنسا بالقوة لا يسترد منها غلا بالقوة.

فماذا تمثل أحداث الثامن ماي 1945م لدى الجزائريين عامة وسكان قالمة خاصة؟ وما هي انعكاساتها؟ تمثل أحداث الثامن ماي 1945م، شكلا من أشكال المقاومة العسكرية والسياسية التي عرفتها البلاد منذ احتلالها عام 1830م، فقد قاوم القاليون الاحتلال منذ أن وطئت أقدامه تراب المنطقة، حيث شاركوا في التصدي للحملة الفرنسية على مدينة قسنطينة بين 1836-1837م [3]بمنطقة مجاز عمار، وهاهم اليوم يبرزون في أحداث الثامن ماي 1945م بأنهم ينتمون إلى شعب حي، يسهم في صناعة تاريخ التحرر والانعتاق من ربقة الاستعمار الأجنبي، فهذه الضريبة القاسية، التي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف في وقت قصير، لدليل واضح على إرادة الشعب الجزائري —ومنه سكان قالمة- في التخلص من سيطرة المستعمرين الجاثمين على صدورهم لأزيد من قرن من الزمن. ويحق القول بأن الثامن ماي، يشكل منعطفا هاما في تاريخ

(1) عبد الرحمان بن العقون: مذكراتي، منشورات دحلب، الجزائر، 2000م، ص 131.

(2) علي تابليت: من جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر، مرجع سابق، ص 73.

(3) عبد المالك سلاطنية: قالمة من فجر الحضارة إلى فجر الاستقلال، مرجع سابق، ص 58.

الحركة الوطنية الجزائرية خاصة، وفي تاريخ النضال الجزائري عبر القرون عامة، كونه يمثل نهاية الثورات المحلية وبداية للثورة الوطنية العارمة [1]، ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م، حيث انطلقت الحركة الوطنية على أسس جديدة خلافا لما كان يتوقعه العدو، بأن تلك المجازر قوضت النضال الوطني وامتصت منابعه إلى الأبد، لهذا تعد أحداث 8 ماي 1945م بمثابة الحد الفاصل بين الذين يؤمنون بالاستقلال بواسطة النضال السياسي، وبين أولئك الذين يؤمنون عن طريق الكفاح المسلح، إذ لم يكن ينشط على الساحة السياسية سوى الحزب الشيوعي الجزائري واتحادية المنتخبين المسلمين، في حين أن زعيم حركة أحباب البيان فرحات عباس، وكذا زعيم حزب مصالي الحاج، ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، كانوا رهن الاعتقال [2]، ومن الآثار السياسية المتمخضة عن المجازر ما يأتي:

- اعتقال وسجن المئات.
- فرض رقابة شديدة على العناصر النشطة والقاعدة في الساحة.
- حل حركة أحباب البيان والحرية في 14 ماي 1945م [3]، وحجز وثائقها، وتشميع مقراتها [4].
- حظر التجمعات لأكثر من ثلاثة أشخاص.
- غلق الصحف، ومنها جريدة المساواة (Egalité).
- حل الجمعيات الثقافية والرياضية [5].

والأمة الجزائرية لازالت تنكأ جراحها وتئن تحت وقع المآسي والكوارث، أجرت الإدارة الاستعمارية انتخابات المجس التأسيسي في 1945/10/21م، فوجه حزب الشعب وحركة

(1) Redouane Ainad Tabet : 8 Mai 1945 en Algérie, op, cit, p 11.

(2) عمار رحيلة: 8 ماي 1945م، المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 87.

(3) Mahfoud kaddache : histoire du nationalisme Algérien 1919- 1951, 12, SNED, Alger, 1980, p 719.

(4) نفسه.

(5) H'sen Derdour : Annaba 25 siècles de vie quotidienne et de luttes, T2, SNED, Alger, p 507.

أحباب البيان نداء بعدم المشاركة ومقاطعة الانتخابات، فكانت الاستجابة كبيرة، بحيث لم يشارك إلا 70 ألفا و500 ناخب، من جملة 1 مليون و350 ألفا وقد نالت اتحادية المنتخبين 7 مقاعد من ضمن 13 مقعدا المخصصة للقسم الثاني، وفي محاولة من السلطات الفرنسية لامتصاص غضب الجزائريين من جهة، ووضع حد للانسداد الحاصل في العلاقات بين الطبقة السياسية الجزائرية وسلطات الاحتلال من جهة أخرى، سارعت في 16 مارس 1946م إلى إصدار عفو عام تم بموجبه إطلاق سراح السجناء والمعتقلين السياسيين، وكان العفو يهدف إلى تحقيق الآتي:

- إعادة التهدئة.
- تجنب انتشار الثورة واتساع رقعتها.
- ضرب الأحزاب الوطنية.
- تنفيذ الإجراءات السياسية [1]، وعليه، قام الحاكم العام إيف شاتينو (Yves chataigneau) بإصلاحات لغرض التهدئة وإعادة الطمأنينة إلى النفوس، وامتصاص غضب الجزائريين، وتتمثل هذه الإصلاحات في:
- منح قطع أرضية للأهالي على مستوى أرياف المنطقة لغرض الاستصلاح، وعلى هذا الأساس استعادت المناطق المنتفضة بمنطقة قالمة هدوءها في أواخر شهر ماي [2].
- تخصيص مناطق لزراعة الحبوب والأشجار المثمرة.

بعد أن أطلق سراح فرحات عباس، بادر بإنشاء الاتحاد الديمقراطي للبيان UDMA، ببرنامج لا يختلف مضمونه عن بيان فيفيري 1943م، وشارك في انتخابات الجمعية التأسيسية الثانية في جوان 1946م، وحصد 11 مقعدا من أصل 13، وقد دعا حزب الشعب المحظور

(1) عمار رحيلة: 8 ماي 1945م، المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ص ص 88- 89.

(2) أحمد بوشمال: شهادة تاريخية، انتفاضة 8 ماي 1945م، مرجع سابق، ص 22.

إلى المقاطعة التي مست ما يزيد عن 700 ألف ناخب، وهو ما يفسر اتساع القاعدة الشعبية لحزب الشعب الجزائري، وقد حاولت السلطات الاستعمارية أن تعيد التهدئة إلى الجزائر وإلى المناطق التي شهدت العنف والقتل، حيث وافق رئيس الحكومة بلوم (Blum) على تأجيل تنفيذ كل الأحكام، وخاصة تلك المتعلقة بالإعدامات، فصدر العفو التام بتاريخ 16 مارس 1946م، وتطبيقا لسياسة التهدئة، وامتصاص غضب الأهالي قام الحاكم العام إيف شاتينو (Yves chataigneau) ببعض الإصلاحات لصالح أهالي منطقة قالمة بغية إدماجهم في المجتمع الفرنسي [1]، ومنها:

- توزيع قطع أرضية بأرياف هوارة [2]على الأسر بمعدل خمسة هكتارات للأسرة الواحدة.
- فتح مدرسة بقسم واحد بمنطقة بوقرقار [3]، وبتلك الإجراءات عادت الأسر إلى منازلها بعد أن قضت أزيد من ثلاثة أسابيع في غابات جبال هوارة [4].

الخاتمة:

لقد كانت مجازر 8 ماي 1945 تمثل وبحق المنعطف الحاسم والأرضية الأساسية لثورة الفاتح من نوفمبر، حيث غرست الطرح الاستقلالي لدى الشعب الجزائري، وكانت بمثابة نقطة الانطلاق في تسريع تاريخي لدينامية الحركة الثورية بفضل تصميم وإصرار النخبة الوطنية على العمل الثوري والرغبة في تجسيد مبدأ الاستقلال من خلال العمل المباشر والمواجهة المكشوفة ضد فرنسا وعلى مرأى المجتمع الدولي لتحقيق طموح الشعب الجزائري في تحقيق الحرية المسلوبة لمايزيد عن قرن من الزمن.

(1) شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص 339.

(2) جبال تقع شمالي مدينة قالمة، وهي اسم لقبيلة بربرية.

(3)دوار: تمتد أراضيه في ثلاث بلديات متجاورة (بومهرة، بلخير، هيليوبوليس).

(4) السعيد بن شعبان: محادثة خاصة.